

العلم والإيمان للنشر والتوزيع

جمهورية مصر العربية / دسوق / ميدان المحطة / ش الشركات، ت : ٢٥٥٠٣٤١ /٠٤٧ ـــ ف : ٠٤٧/٢٥٦٠٢٨١.

رقم الإيداع : ٢٠٠٤/١٦٤٦٢
الترقيم الدولى : I.S.B.N. 977-308-054-4
الطبعة الأولى : ٢٠٠٥ - ٢٠٠٦

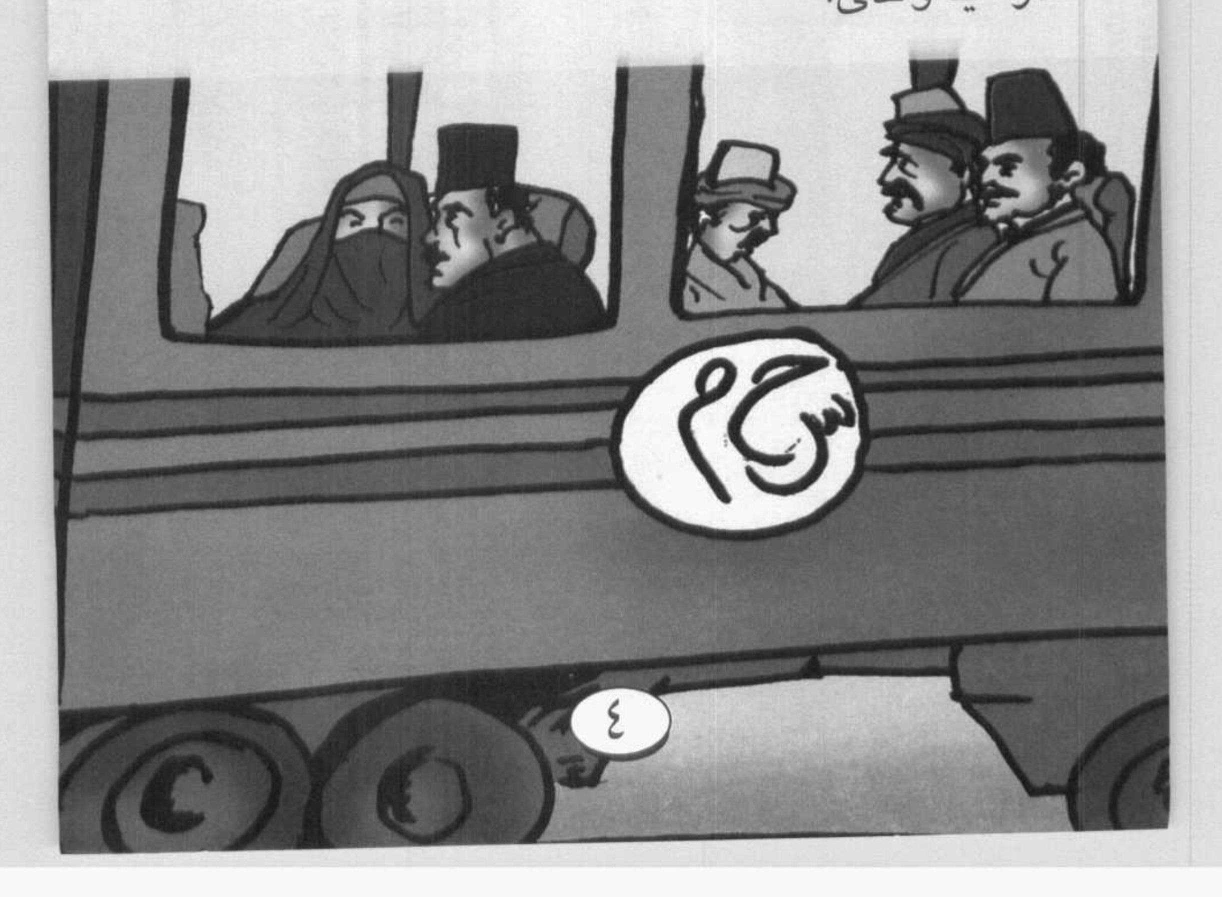
كَان قَدْ حَفِظَ القرآنَ الكَرِيمَ، وتَهيأَ لدخولِ المعهدِ الدِينيِّ، كَانَتَ سَعادتُه بحفظِ القرآنِ كَبيرةً، لَكنَّه لم يَكن سَعيداً لذهابهِ إلى المعهدِ، رَغْمَ حُبهِ لَه، إنَّه فِي المدينةِ البعيدةِ، سَيَصيرُ وَحِيداً لأولِ مرةٍ سَيتركُ قريَتَه خَلْفَ ظهرِه، ويشعر بآلام الغربة كم كان كُتَّاب الشيخ رائعاً، كانت أصواتُ التلاوةِ تهز الحجرةَ هزاً وكَان يَتَولَى مهمةَ الشيخِ أَحياناً الآنَ صارَ يركَبُ القِطَارَ والقطارُ يشقُّ طريقَه سَرِيعاً كَأنَّه البرقَ، إلىَ أينَ يَأخُذُكَ يا محمدُ؟ سَيأخُذُكَ بَعيداً عَنْ قَريَتِكَ وعَنْ الحقول التي أحببتَها والعَالم الذي ألفتَه.

كَم هو رَائعٌ أنْ تَكونَ فى قَريتِكَ، تَجرِي فى دُروبها تَرقُبُ الأرضَ وهى تبتسمُ بالخضرةِ وتَنطِقُ بالحياةِ .. من نافذةِ القطارِ لَمَحَ فلاحاً يرفَعُ فأسَه لأعلى وَيهبِطُ بها للأرض، ما أسعَده ذلك الفلاَّح.

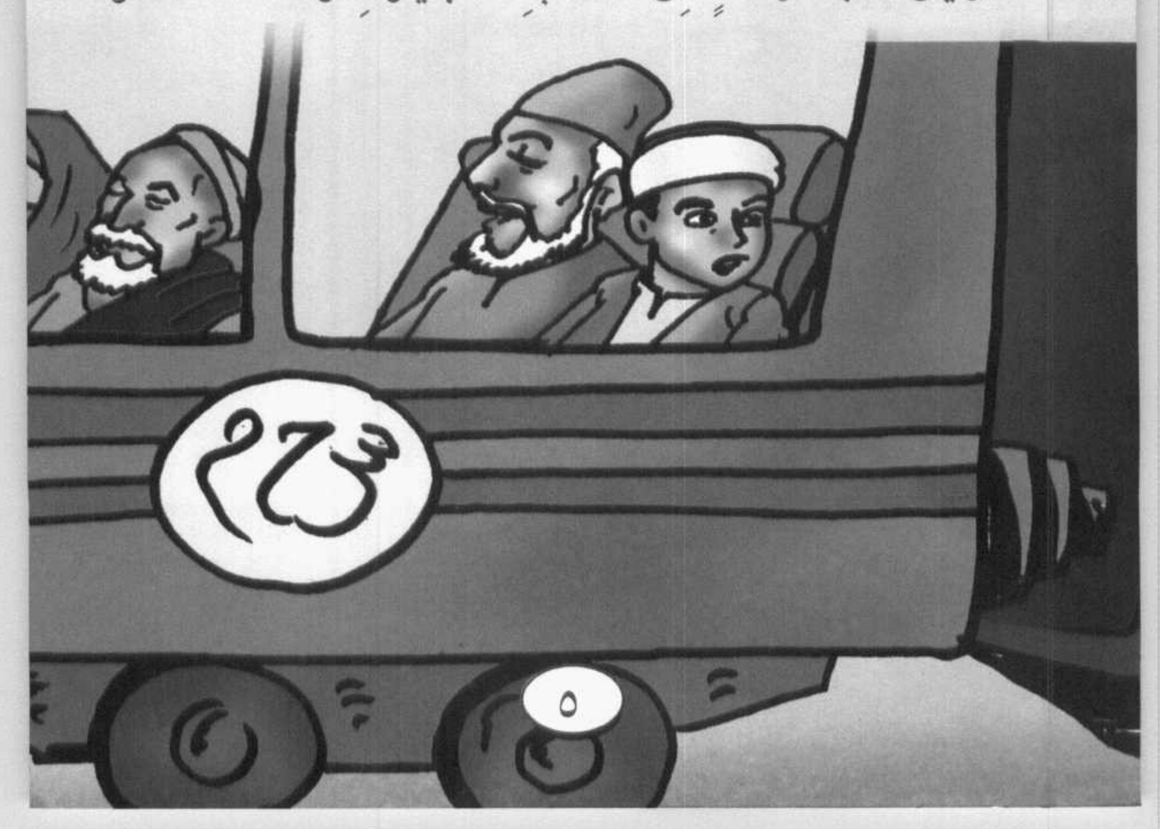


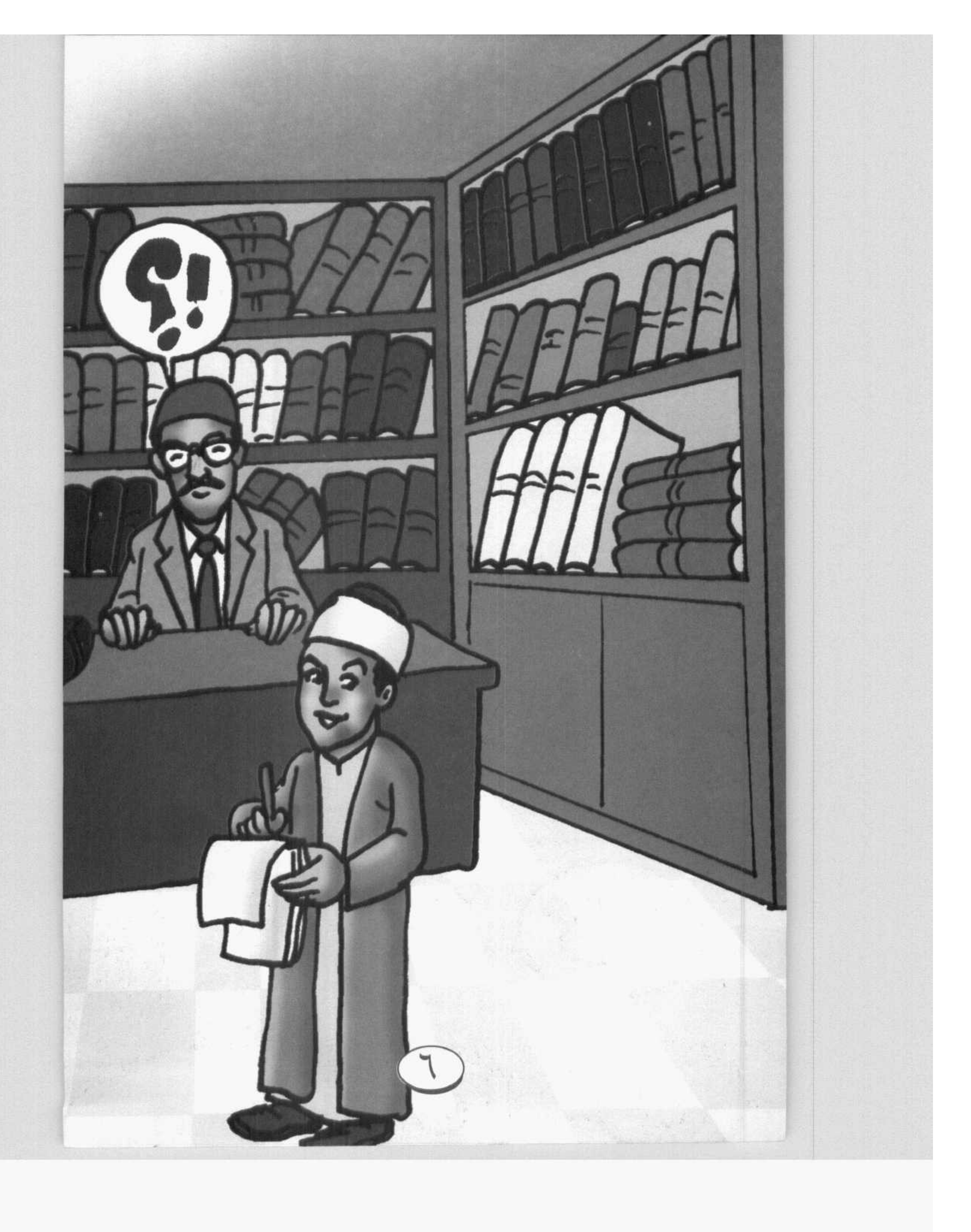
لَمْ يَأخذه القطارُ منْ قريتـهِ، لابدَّ أَنْ نفكرَ فى حيلةٍ يا محـمـدُ، حِيلةٌ تجبـرُ والدَك على التـراجعِ عن إرسالِك للمدينةِ.

ما الذى يجعلُ أبَاكَ يتراجعُ سوى قلةِ المالِ لكنَّك لست فى حاجةٍ إلى مـالٍ كثيـرٍ يجعلُ تَعْليمَكَ مستحيلاً، عَليكَ إِذَن أَنْ تُفكرَ فى هذا المستحيلِ عليكَ أَنْ تضعَ أباكَ أمَامَه منذ أولِ وهلةٍ، حينئذ سيقولُ لَكَ :ليس بمقدورنا أَنْ نعلمِكَ يا محمدُ .. عذراً يا ولَدى.

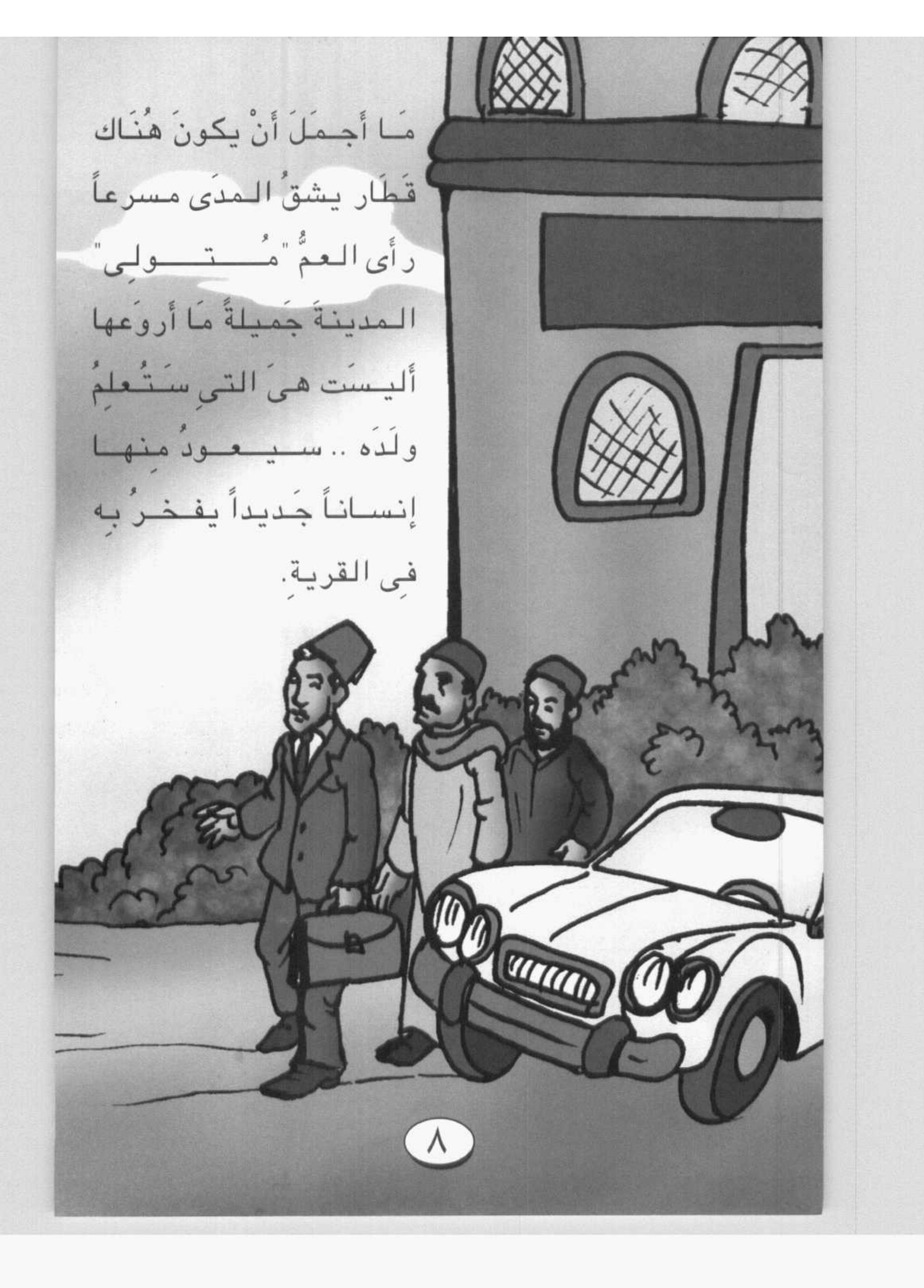


وَاصَلَ القِطَارُ انطلاقَــه، كَـان يهـزُّ السكونَ هَزاً ويَخْلفُ وراءَه كلَّ جميلٍ الخُضرَةُ ترجعُ إلى الوراءِ والمدينةُ، تَمدُّ ذراعَيْها لالتقاطِ القطارِ وكأنَّها تريدُ احتضانَه والصوتُ يَأتي قوياً إلى أُذنَيهِ مِنْ كُتَّابِ الشَّيخِ مِثل دَوى النَّحلِ، ابتَلعَت المدينةُ مُحمداً بعدَ أنْ وجدَ الفكرةَ ما أَجملَها من فكرةٍ، إنَّها أكثر مِنْ رائعةٍ، دخلَ إلى أقربِ مكتبةٍ كَانت تمتلىءُ بالكتبِ الكبيرةِ والصغيرةِ تقدمَ محمدُ وانتَقَى عنَاوينَ مجموعةٍ مِن الكتبِ الكبيرةِ، وكلَّمَا اختارَ





كتاباً طلبَ مِنْ صَاحبِ المكتبةِ أن يسجلَه فى ورقةٍ
ويسجلَ ثمنَه والرجلُ فى دَهشةٍ مَاذا يريدُ هذا
الغلامُ الصغيرُ، أيريدُ شراءَ هذه الكتب كلِّهَا لنفسه
فتى صغيرٌ سيقرأُ فى أمهاتِ الكتبِ، فى العلومِ
الدينِ، الفلكِ، الطبِ، والرياضياتِ، لكنَّ الفتَى لم
يتركْ الفرصَةَ لصاحبِ المكتبةِ ليواصلَ دهشتَه،
فقد شغلَه بتسجيلِ عَناوين أُخرى وأثمَانٍ جَديدةٍ
فليَأتى أَبوه " مُتولِى " وليدفَع فاتورةَ هذه الكتب
إن كَان يُريدُني أَن أتعلمَ وأَن أبقَى بهَذه المدينةِ
سأقولُ له إنهَا مصروفَات الكتبِ التى طَلبهَا
أساتذةُ المعهدِ حينئذ سَيقولُ لَه : هَيا يَا ابن
مُتولى نعودُ إلى قريتِنا أَتَرانِىَ ورثتُ مَالاً
كَثيراً عَن جَدِكَ الشَّعْرَاوي حتَّى أدفَع كلَّ هَذا!
وهَا هو القطَار فِى المرةِ الثَانيةِ يعودُ إلَى
المدينةِ فى هذهِ المرةِ يَحملُ الأَبَ ووجهه
يَمتلىءُ بِفَرحِ الحصَادِ، إنَّه ذَاهبٌ الآن لِولَدِهِ مُحمد.



مَا أَجمَلَ أَنْ يكونَ هُنَاك
قَطَار يشقُ المدَى مسرعاً
رأَى العمُّ "مُتولِى"
المدينةَ جَميلةً مَا أَروَعها
أَليسَت هىَ التىِ سَتُعلِمُ
ولَدَه .. سيعودُ مِنها
إنساناً جَديداً يفخرُ بِه
فِى القريةِ.

هبطَ من القطارِ واتجَـه إلَى الـمـعـهدِ الدينِى وبعدَ فترةٍ كَان يصطَحبُ ولدَه ويخرجَان مِن الـمعهدِ بعد انتهاءِ اليومِ الدراسى، وهَا هما يمضيَان معاً فى الشارعِ كَانَ عليه أنْ يُنفِّذَ خُطَته، هَا هِى الـمكتبةُ وقَائمةُ الكتبِ فى جيبه، أَخرجَها وقدَّمها لأبيه قَائلاً: أريدُ هذه الكتُبَ، أُريدُهَا يَا أَبى إنها مطلوبةُ فى المعهدِ أَمسَكَ الأبُ القائمةَ فى يدهِ وشَردَ قَليلاً وهمَّ أن يقولَ كلَّ هذهِ الكتبِ!! لَكنَّه سكَتَ، ثم عادَ يقولُ : ومِنْ أينَ نشتَريَها يا محمدُ ؟

على الفورِ أشَارَ محمدُ إلى المكتبةِ، مِنْ هنَا يَا أبِى لَقد جَاءت اللحظةُ الحاسمةُ.




مكتبة العلم

سيعرفُ أبُوه أنَّ مصاريفَ التعليمِ فى المدينةِ ليست أمراً هيناً سيعودُان معاً حيثُ الأهلِ والصِّحابِ بَعيداً عن لوعةِ الغربةِ وبعدَ لحظاتٍ كَانا قَد دخَلا إلى المكتبةِ ومرَّ وقتٌ طَويلٌ ثم ظَهَرَ الاثنان يجلسَان فوقَ عَربةٍ خشبيةٍ يجرُها حمارٌ، كانتْ العربةُ تمتلىءُ بالكتبِ، لَقدْ خَيَّبَ الأبُ ظَنَّ ولدِه واشتَرى الكتبَ التىِ طلبهَا كاملةً، وأشَارَ لصَاحبِ العربةِ بأنْ يتَّجه إلى مسكنِ ولدِه، وأخرَجَ حافظةَ نقودِه ليعطِي صاحبَ العربةِ أَجرَه فاستوقَفَه أنَّ نقودَ الحصادِ أَوشكَت علَى الانتهَاءِ مازالَ القطارُ واقفاً يلفَظُ دخَّاناً كثيراً والزَّقَازيق تَبدو بروعةِ العلمِ فى هَذه المرةِ سيعودُ القطارُ فى اتجاهِ القريةِ لَكن الأبَّ هو الذى سيعودُ وحدَه، وجاءَ محمدٌ كَى يودعَه، طوالَ الطريقِ كان محمدٌ سَاهماً شَارداً مَازَالت تملؤه الدهشةُ كيف اشتَرىَ أَبوه كلَّ هذهِ الكتبِ.!!!



لَقد أنفقَ كلَّ ما مَعَه مِن أجل حلمِه بأن أتعلمَ وأعودَ إلى دَقادوسِ قَريتي فَقِيهَاً، أكانَ لابدَّ أن أثقلَ عليه هكَذا..

صَمتٌ دار بينَ الاثنينِ، والقطارُ ما يزال واقفاً، تُرَى فيم يفكرُ الأبُ فى تِلكَ اللحظةِ، ردَّ القطارُ على السؤالِ بصوتٍ يُنذِرُ بالحركةِ :

تُووووت.....

صَافحَ الأبُ ولدَه، ضَمَّه إلى صدرِه، قالَ لَه :

اللَّه مَعَكَ.

ثم أضَافَ : الزقازيقُ مَدينةٌ جميلةٌ.





ثم ابتسمَ مضيفاً :

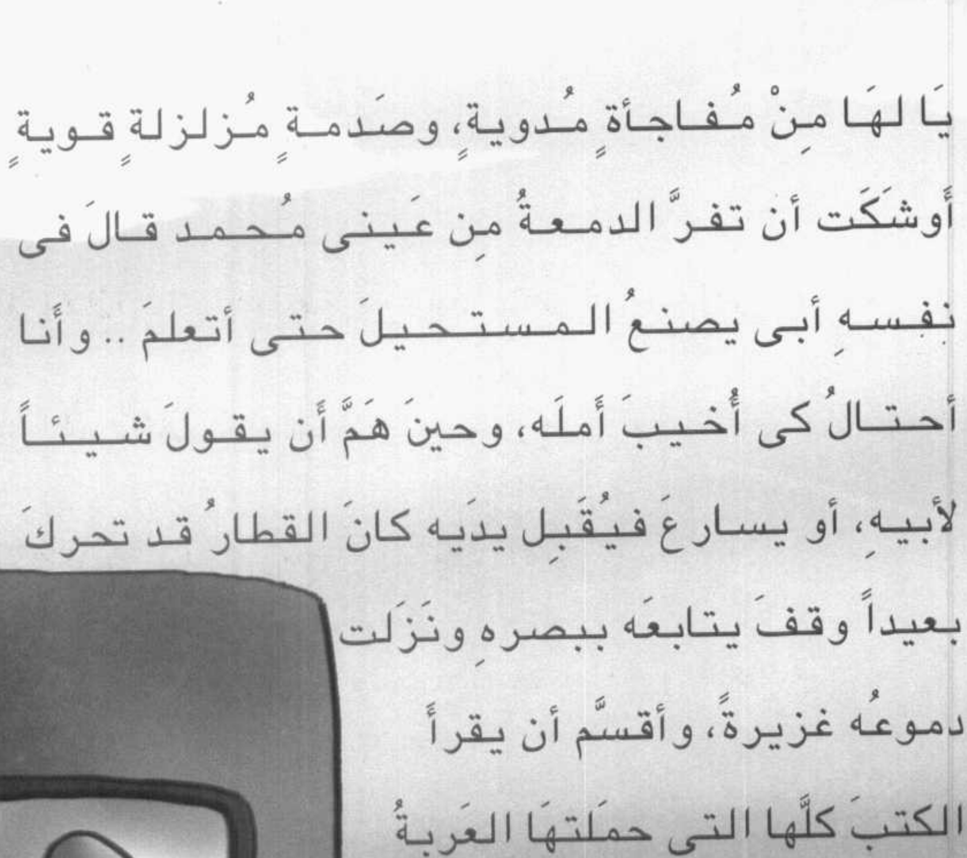
وكلُّهـا أرضُ اللَّه يَا ولَدِي .. عُـد إِلى دَقَـادوس مـتَـى شِـئت لكن لا تنسَى أَن تَأتِى إليـهَـا بالعلمِ فَـهِى مـتـعطشةٌ لـه مـثلَ أرضِـهـا العَطشَى عِندَمـا تـترقبُ قـدومَ الـمـاءِ، ومع صـوتِ القطارِ فى الـمرةِ الثـانيـةِ، صعدَ الأبُ إلى القطارِ، وبدأَ القطارُ فى التحركِ.

ورأى الأبُ الفرصةَ مناسبـةً.. قَـد جـهَّـزَ قَـولاً لـولدِهِ وجَاءت لحظتَـه والقطارَ يتحـركُ.

" إيَّاكَ أن تـعتـقدَ أنَّك ضَحكتَ علىَّ ، أنا ذهبتُ إلى المعـهـدِ قـبلَ لقـائِكَ ودَفَـعت مـصـاريفَ الكتبِ الـمطلوبةِ أما الكتبُ التى اشتـريـنَاهَا، أسألُ اللَّه أن ينفَعَك بِهَا "



يَا لهَا مِنْ مُفاجأةٍ مُدويةٍ، وصَدمةٍ مُزلزلةٍ قويةٍ أَوشَكَت أن تفرَّ الدمعةُ مِن عَينى مُحمد قالَ فى نفسهِ أبى يصنعُ المستحيلَ حتى أتعلمَ .. وأَنا أحتالُ كى أُخيبَ أَملَه، وحينَ هَمَّ أَن يقولَ شيئاً لأبيهِ، أو يسارعَ فيُقَبِل يدَيه كانَ القطارُ قد تحركَ بعيداً وقفَ يتابعَه ببصرهِ ونَزَلت دموعُه غزيرةً، وأقسَّم أن يقرأ الكتبَ كلَّها التى حمَلتهَا العَربةُ وتلكَ كَانت البدايةَ.



التقويـــــم:

١- لماذا كان "محمد" حزيناً وهو ذاهب إلى المعهد ؟

٢- أين ذهب "محمد" عندما وصل إلى المدينة ؟

٣- أذكر بعض أنواع الكتب التى اشتراها "محمد" ؟

٤- كيف كان حال "محمد" بعد وداع والده له ؟